

# الدراسة النفسية في دراسة العقاد النقدية

للدكتور أحمد محمد الجوفي  
رئيس قسم الدراسات  
الدراسية بكلية المعلمين - جامعة القاهرة -

وقد لخص العقاد المذاهب النقدية في ثلاث :  
مدرسة التحليل النفسي ، ومدرسة الدراسة  
الاجتماعية ، ومدرسة الأذواق الفنية .

وقال ان مدرسة التحليل النفسي هي اقرب  
المدارس الى الراي الذي ندين به في نقد الادب وتقد  
التراجم وتقد الدعوات الفكرية جمعاء ، لان العلم بنفس  
الأديب أو البطل التاريخي يستلزم العلم بمقومات هذه  
النفس من احوال عصره ، واطوار الثقافة والفن فيه ،  
وليس من عرفنا بنفس الأديب في حاجة الى تعريفنا  
بعصره وراء هذا الغرض المطلوب ، ولا هو في حاجة  
الى تعريفنا بالبواعث الفنية التي تميل به من أسلوب  
الى أسلوب .

وللنقد مدرسة اخرى محترمة كثيرة الانصار في  
العصر الحديث على الخصوص ، بعد استفاضة البحوث  
حول الدعوات الاجتماعية ، وعلاقة الأديب بمطالب  
عصره . وموضع الملاحظة على هذه المدرسة ان الذي  
يعرفنا بأحوال المجتمع فحسب لا يستطيع ان يعرفنا  
بأسباب الفوارق الكثيرة التي تشاهد بين عشرات  
الأدباء من أبناء العصر الواحد ، ولا غنى له عن الرجوع  
الى « النفسيات » مع التعويل على « الاجتماعيات » في  
مسائل الادب والتاريخ .

اتجه العقاد في اعماله الادبية كلها الى استكناه  
النفوس ، وتحليل نوازعها ، ورد ما يصدر عنها الى  
بواعث قد تخفيها أستار من الأحداث والملابسات  
وأحكام الناس ، فنراه في العبقريات يدرس الشخصية  
ومعاملها ، ويتلمس مفتاحها . ونراه في شعره وفي  
نقده محللا ومعللا ومتقبا عن الدخائل : كأنما يفحص  
بالمجهر عن شيء في سائل .

يقول في دراسته لجميل بثينة : « وقد عنانا في  
هذا الكتاب ان نوفق بين البواعث النفسية والعوامل  
الطبيعية في سيرة جميل وبثينة ، وان نفهم الادب على  
مصباح من علم النفس ، ومن حقائق الطبيعة ، فلا  
نرجع به الى لفظ تلوكة الأفواه ، بل نرجع به الى  
وشائج تمتزج بالأبدان والأذهان (1) » .

ويقول صديقه الأستاذ محمد طاهر الجبلاوي :  
« وقعت في أيدينا في تلك الايام قصة الأكاذيب للكاتب  
الفرنسي بول بورجيه ، وهو من رواد القصة النفسية ،  
فقرأها العقاد ، وقرأها أكثر من مرة ، وكنا نعجب  
لأحداثها التي تنطبق على ما نحن فيه ، وتحدث عنها  
فيما بيننا » .

وللعقاد اعجاب كبير بهذا الكاتب ، فمذهبه  
القائم على التحليل النفسي هو مذهب العقاد الذي  
يتحراه في القصة وفي الشعر (2) .

(1) جميل بثينة 8 .

(2) في صحبة العقاد للجبلاوي 167 .

وهذا رأي قائل ، لان العشق حباله لبقاء النوع ،  
قد يذهب العاشقان ضحية لها ، وقد يظفي فيه الجماع  
والسورة والغضب على الرقة و لرضا واللين والانقياد .

— 2 —

اما العقاد فيرى (4) ان أجود الغزل ما عبر عن  
عاطفة المتمنزل تعبيراً صادقاً ، سواء أوصف المحبوبة  
بالحسن العائق أم بالحسن المعتاد ، وسواء أكان رقيقاً  
أم غير رقيق . فمجنون ليلى يقول :

كان فؤادي في مخالب طائر  
إذا ذكرت ليلى يشد به قبضا  
كان فجاج الأرض حلقة خاتم  
علي فما تزداد طولاً ولا عرضاً

ويعلق العقاد على البيتين بقوله : ان قلب السامع  
ليتنقبض ، وان صدره ليحرج لهذا الوصف ، ومع هذا  
فني شعر ابرع من هذا الشعر ؟ وأي شاعر أطبع  
واعشق من المجنون ؟ .

فوالله ما في القرب لي منك راحة  
ولا البعد يسليني ولا أنا صابر  
ووالله ما أدري بأية حيلة  
وأي مرام أو حظار أخاطر

وليس العشق الصادق حين يشب أواره بالمعاطفة  
التي يود صاحبها دوامها ، ويستريح الي مناجاتها ،  
وتما هو غمة يود المبتلي بها لو تنقضي لساعتها ،  
ويقوم في نفسه عراك لا تهدأ ثأرتة ، ولا يهنأ بالقلبة  
فيه ، لانه هو الغالب وهو المغلوب ، وكأنما ينزع نفسه  
من نفسه ، فيضيق ذرعاً ، كما قال المجنون  
وهذا شبيهه بقول كاتبولس

الشاعر الروماني : أيتها الآلهة ان كان لك رحمة  
بالقلوب الصديقة المشقة فبحق براءتي عليك الا ما  
نظرت الي عذابي ، ورثيت لما بي ، ومسحت عني هذا  
الوباء الماحق والبلاء اللاحق ، وهذه النوعة التي  
تسربت رعدتها في عروقي فشت الهناء عن قلبي .

اما المدرسة الفنية فيبي مدرسة البلاغة والذوق ،  
ومدرسة المعاني الرائعة والتعبير الجميل ، وهي  
تلجئنا لا محالة الى ذوق الأذيب وذوق الناقد على  
السواء ، ومتى وصلنا الى الذوق فقد وصلنا الى  
النفسيات ، ووصلنا قبلها الى الاجتماعيات على  
لاجمال (3) .

وليس من غرض المفاضلة بين هذه المدارس ،  
او مناقشة العقاد فيما ذهب اليه ، بل ساكتفي بمرض  
اربعة نماذج من دراسات العقاد النفسية في ميدان  
الأدب وحده ، واعقب على كل منها بما أراه :

### النموذج الأول أجود الغزل

— 1 —

للقدماء رأبان مختلفان في أحسن الغزل وأجوده ،  
فمنهم من يؤثر الغزل الذي يضفي على المحبوب هالة  
من الجمال ، فلا يلحق بها عيب ولا نقص ، حتى  
ليصور محبوبه مثلاً أعلى في الملاحظة والحسن والأغراء .

وهؤلاء يخلطون بين العشق والاستحسان ، وهما  
في حقيقتهما مختلفان ، لأن الاستحسان قد يكون من  
عاشق وقد يكون من غير عاشق ، ولأن العشق ليس  
معناه ان المرأة المعشوقة أجمل في نظر عاشقها من  
كل امرأة ، فلا غرابة في ان يحبها وهو عارف بميوبها ،  
وعالم بمحاسن غيرها ، ولكنه لا يحبها .

ثم ان الحب قائم على الاضطرار لأعلى الاختيار ،  
فاذا رأى المحب سيئات من محبوبه ، وبقي على حبه ،  
كان هذا ادل على قوة الحسب من استمراره مع  
الاستحسان والاختيار .

ومعنى هذا ان المدرسة التي تجعل الاطراء  
والاستحسان مقياس الجودة في الغزل تجهل بواعث  
الغزل الجيد وتبعد عن حقيقته .

ومنهم من يتخذ رقة الغزل والمبالغة فيها مقياساً  
لجودة الغزل ، فالمحب الذي يبكي أغزل ممن لا يبكي ،  
والذي يبكي كثيراً أغزل ممن يبكي قليلاً ، والذي يتذلل  
ويتضرع أغزل من الذي يثور ويتبرم ، والذي ييسط  
خده موطئاً لقدم محبوبته أغزل ممن يترفع .

(3) مجلة قافلة الزيت مارس 1964 .

(4) شاعر الغزل العقاد .

ثم يوزن العقاد بين قول جنادة العذرى :

من حباها اتمنى ان يلاقيني  
من نحو بلدتها ناع فينعاهها  
كيما اقول فراق لا لقاء له  
وتضمر النفس ياسا ثم تسلاها  
ولو تموت لراعنتي وقلبت الا  
يا بؤس للموت ليت الموت ابقاها  
وقول المجنسون :

يا رب اذ صيرت ليلي هي المنى  
فزنى بعينها كما رتها ليا  
والا فبغضها السى واهلهها  
فاني بليلى قد لقيت الدواهيها

وبين قول كاتوليس : اني لاكره واحب ، تسألني  
كيف ذلك ؟ من يدري ؟ ولكني احس بحقيقة هذا الامر  
وشدة برحائه .

ويخلص من الموازنة الى ان نعت الحب بانه داعية  
ليس فيه شيء من الرقة والدمانة ، ولكنه وصف اتفق  
عليه شاعران ليس بينهما جامعة من ذوق لغة ، او  
وحدة زمن ، لأنهما اجتماعا على عاطفة انسانية صادقة ،  
شاركهما فيها كل الشعراء الذين جربوا العشق .

وكذلك لا يشرط في الغزل الجيد استحسان  
شمال المحبوب والمبالغة في اطرائها ، ولا التدللس  
والشكوى والضراعة .

واذا فالغزل الجيد هو التعبير الصادق عن الحب  
وعن نفسية المحب ، وهو بهذه المثابة كالبحر اللجي  
الذي تتيه فيه العقول ، ويتسع للناقض ، ويعج  
بضروب من المفاجآت ليس لها انتهاء .

ولهذا كان من الخطأ ان يحصره النقاد في قالب  
واحد وهيئة واحدة او لون لا يتبدل .

— 3 —

وبهذا خالف العقاد اصحاب الاستحسان  
 واصحاب الرقة في تقدّم قول جميل :  
رمى الله في عيني بشينة بالقذى  
وفى الفر من انيابها بالقوادح

لانهم عابوه اذ سأل الله تشوبه عيني حبيبتيه  
وتغرها ، وهما اجمل ما يتمنى له الجمال في وجهه  
محبوبته ، فتجافى عن الرقة كلها بين دعا عليها ذلك  
الدعاء الغليظ يلغو به العدو على الاعدائه .

وذهب العقاد الى ان هذا البيت ادل على عشق  
جميل من عشر قصائد غزلية تفيض بالرقة والثناء  
والاستحسان ، لانه دليل على حب يرح به ، وحرار في  
الخلاص منه ، وغلب على مشيئته فيه ، وظن ان البلاء  
كله من جمال تلك الشنايا وتينك العينين ، فلم تبقى له  
من حيلة الا ان يسأل اتلاف هذا الجمال ، عسى ان  
يطبق بعد ذهابه سلوه والراحة من بلواه .

فالبيت دليل على اعماق الحب واصدق الغزل ،  
ولك ان تقول انه غزل صادق من رجل سييء ، او انه  
غزل صادق من رجل طيب في سورة اليأس والحيرة ،  
اما ان يكون مبطلا في عشقه وغزله لانه تمنى تلك  
الامنية ، فذلك غفلة عن العاطفة التي امنته ، ولغو لا  
صدق فيه .

ولك ان تقول انها امنية رجل تغلب عليه الانانية .  
ويتلمس الراحة بما استطاع من وسيلة ، ولو كان فيها  
بلاء لمن يهواه ، الا انك لا تنسى انه تمنى تلك الامنية ،  
لانه احب وضاق ذرعا بحبه ، وبلغ اقصى ما يبلغه  
العاشق من التعلق بالمعشوق والعجز عن الفكالك من  
اوهاق ، فهي ان شئت انانية ذميمة لا ترضى عنها  
الأخلاق الكريمة ، ولكنه حب قوي ، وتعبير صادق عنه .

— 4 —

ثم تعمق العقاد فيما لم يتعمق فيه سواه ، اذ  
اورد قول كثير عزة .

الا ليتنا يا عز من غير رييسة  
بعيران نرعى في الخلاء ونعزب  
كلانا به عمر فمن يرنا يقل  
على حسننا جرباء تعدى واجرب

اذا ما وردنا منهلا صاح اهله  
علينا فما ننك نرمي ونضرب

وودت وبيت الله انك بكسرة  
هجان واني مصعب ثم نهـرب  
نكون بعيري ذي غنى فيضيعنسا  
فلا هو يرعانا ولا نحن نطلب

ولم يعلق النقاد على الايات باكثر من قولهم انها  
امنية سخيفة ، اذ تمنى كثير لنفسه ولمحبوبته الرق  
والجرب والرمى والطرد والمسخ ، فلم يبق مكروه لم  
يتمنه لها ولنفسه ، فصار جدبرا بقول القائل : معداة  
العاقل خير من مودة الاحمق .

وعقب العقاد على هذا بأنهم صادقون ، لأنه ما من  
أمنية أدعى إلى الضحك والسخرية من هذه الأمنية .

ثم تغفل إلى نفسية كثير ، ليكشف عن بواطن  
هذه الأمنية الحمقاء ، فردها إلى قماءته ودمامة منظره ،  
وحماقته ، وضعف حيلته ، وإلى غيرته على عزة التي كان  
يخشى أن يقلبه عليها كل المزاحمين ، لأنهم أجمل منه  
منظرا . وأقدر على الإغراء والاستهواء ، وقد فكر كثير  
في الوسيلة التي يأمن بها على صاحبته فلم يجد غير  
ابتلائها بالبلاء الذي يزهّد الناس فيها ، فتصير له  
وحده . لأنه لا يستطيع أن يتحرر من حبه ، ولأنه عاجز  
عن حمايتها ، وهو لا يملك من الوسائل ما يملكه غيره من  
المنافسين .

على أنه ليس يستبعد أن كثيرا رأى البعيريين  
الموصوفين رؤية العيان ، لأن هذا منظر ينسدر أن  
يشاعده ابن البادية مرات ، فخيّل إليه أنهما سعيدان  
حيث يسرحان ولا يطلبهما راع ولا مالك ، فتمنى  
السعادة على هذا المنوال .

وإذا كان سخيفا في أمنيته - ولا شك في ذلك -  
فهو محب صادق في التعبير عن حبه ، فلا علاقة بين  
سخره وأمنيته واتهام عاطفته ، لأنه أحب فنغصه الحب ،  
وحرمه الراحة من طريق غير هذا الطريق .

— 5 —

ومن هذا يتبين أن العقاد أرجع جودة الغزل إلى  
ينبوع الغزل نفسه وهو الحب ، وإلى صدق التعبير عن  
الحب ، فإذا كان الشاعر محبا وعبر عن حبه في صدق  
فغزله جيد ، وإذا كان غير محب أو كان محبا لم يستطع  
التعبير عن حبه فغزله رديء .

لكن هذا المقياس - على أنه قيم - ليس دقيقا  
الدقة كلها ، لأنه يعوزه شيء آخر هو جودة التعبير عن  
العاطفة الصادقة ، وبراعة تصوير العاشق لما يجيش  
بنفسه .

وذلك أن التعبير قد يتصف بالصدق ولكنه لا  
يتصف بالبراعة ، إذ إن المحب قد تجيش نفسه  
بعواطف صادقة ، ويحاول تصويرها بفنّه القولي فلا  
يستطيع ، فيتمهل حتى تهدأ نفسه ، ثم يسترجع ما  
مضى ليعبر عنه تعبيرا ليس صادقا فحسب ، بل

(7) أبو نواس الحسن بن هانيء .

يجمع الصدق والروعة معا ، فيفلح مرة ويخفق مرة ،  
ويجىء في شعره الجهد ويجىء فيه غير الجيد .

لهذا كان هسكلي محقا في قوله :  
« يجب أن نتذكر أن قيسا وليلى وأنطوني وكيلو باترة  
موجودون بيننا بكثرة لا تخطر على بالنا ، وذلك أنه  
يصعب على عابر الطريق أن يقرأ على وجه الناس مدى  
عمق عواطفهم ، وكل وسائله في هذا أن يحس  
ويستنتج من تصرفهم وكلامهم ، لأن الفاظهم في الأكثر  
والأعم لا تسترعي الانتباه ، إذ أن التعبير الرائع هبة لم  
يمنحها الخالق إلا فئة نادرة من الناس ، فليس ضعف  
التعبير دليلا على ضعف الشعور ، بل من المؤكد أن  
عدد المعبرين في جمال فني أقل بكثير جدا من عدد  
المحبيين » .

ولو أن الصدق الشعوري والصدق التعبيري  
هما وحدهما المقياس الذي تقيس به الجودة لكانت  
قوائد الشاعر المحب على درجة واحدة ، فلا نستطيع  
ترجيح قصيدة على قصيدة ، ولكن الواقع غير ذلك ،  
لأننا حينما نقرأ شعر عروة بن حزام أو قيس أو جميل  
أو العباس بن الأحنف مثلا نفضل قصيدة على أخرى ،  
ذلك أننا لم نكتف بصدق الشعور وصدق التعبير ، بل  
أضفنا إليهما مقياسا آخر يتصل بالافتنان في تخير  
اللفظ ، وانتقاء العبارة ، وبراعة التصوير ، وحلاوة  
الجرس . ومعنى هذا أننا أضفنا إلى المذهب النفسي  
المذهب الفني .

## النموذج الثاني

### أبو نواس والنرجسية

فصل العقاد البحث في النرجسية من حيث  
دلالتها ونشأتها وبواعثها ومظاهرها ، معتمدا على آراء  
الثقات من علماء النفس الفحدين .

ثم حاول تطبيقها على أبي نواس (7) ، فألبسه  
نوبا فضفاضا لا ينسجم على قده ، وحكم عليه أحكاما  
تخرج به عن سمته وحده .

— 1 —

فالنرجسية شذوذ دقيق يؤدي إلى ضروب شتى  
من الشذوذ في غرائب الجنس وبواطن الاخلاق ، لأنها

هيام الشخص بجسده أو بنفسه الى حد الاستفراق  
والعبادة والتدليل والعشق .

ولهما شعاب عدة ، تخير العقاد منها ما يتصل  
بدراسة أبي نواس وموضوعات عشقه وغزله ، وأهمها  
شعبتان : أحدهما الاشتهاؤ الذاتي  
والأخرى التوثيق الذاتي  
ومن أبرز ما يلازمهما ظاهرة التلبس أو التشخيص ،  
وظاهرة العرض ، وظاهرة الارتداد .

أما ظاهرة التلبس أو التشخيص فهي عشق  
الإنسان ذاته عشقا شهوانيا ، فالشاذ في حب جنسه  
أو حب الجنس الآخر يجد طلبته ، ويقضي مأربه ، أما  
الذي يشتهي بدنه فليس في وسعه أن يقضي مأربه  
منه بغير التحايل على ذلك بالتلبس أو التشخيص ،  
ولهذا يلبس شخصيته شخصا آخر يتوهم أنه هو ذاته  
أو يحله محل ذاته .

وأما ظاهرة العرض فتشمل الاظهار بجميع  
درجاته ، فقد يشاهد المصاب بها وهو يكشف عورته ،  
ويعرض أعضائه ، ويتعمى من ثيابه ، وإن كان الأكثر  
الاعم أن هذا لا يكون الا في حالة انجنون وما يقاربه .

وأما الارتداد فانه يعترى النرجسيين من تلبس  
ذواتهم بغيرهم ، أو خلع ذواتهم على شخص آخر  
يتلمسون المشابهة بينهم وبينه ، فينتحل النرجسي  
صفة القوة من قوى يشبهه في القوام والملامح ، ويخالفه  
في القوة ، أو يخلع ذاته على امرأة مشتهاة يجد شبا  
بينها وبينه .

— 2 —

وقد حاول العقاد أن يطبق هذه الظواهر على أبي  
نواس ، وأن يفسر بها جميع أحواله .  
I - فشذوذه الجنسي نرجسية مظهرها التلبس  
والتشخيص .

وقد بدا هذا التشخيص في غزله حين اختار  
لهواه غلاما اللغ مثله ، وإن كانت لثغة أبي نواس بالراء  
ولثغة الغلام بالسين :

وأبأبي الشغ لا جنته  
فقال في غنج واخناث

لما رأى من خلقي له  
كم لقي الناث من الناث

وبدا في اختياره غلاما لا يحسن النطق بالراء  
تكسيرالها :

بكسر الراء وتكسيرها  
يدعو مقم الى الحنصف  
وبدا في اعجابه بالبحه التي كانت من خواص  
صوته ، فقال في وصف غلام :

وبه غنة الصبا تعتيها  
بحة الاحتلام للتشريسف

وكذلك ذكر مثال الحسن في الذكور والاناث ،  
في قوله :

ولو انها في الحسن كانت كيوسف  
وبلقيس أو كانت كخط مشال  
وقالت تزوجني على مهر درهم  
لقلت اعزبي عني فمهرك غمال

ثم ذكر العقاد ان الجارية جنان كانت أحب  
معشوقاته اليه ، وانها كانت تحب النساء وتميل  
اليهن ، وظن أن كلف أبي نواس بها ربما كان من ظواهر  
نرجسيته ، لأن لازمة التشخيص تتحقق بها على نحو  
لا تتحقق بغيرها .

ورجع ان هيامه بالجارية ( حسن ) راجع الى تشابه  
اسمها واسمه ، حتى أنه تشفع بهذه المشابهة في قوله :

ان لي حرمة فلو رعيت لسي  
لا جوار ولا أقول قرابسة  
غير اني سمى وجهك لم  
أحرمه في اللفظ والهجاء والكتابة

2 - وطبق عليه ظاهرة العرض ، ليبين أنه لم  
ينظم شعرا في الخمريات أو الغزل أو المجون الا تبين  
منه أن الجهر بالمحرمات أدنى الى هواه من الاستمتاع  
بها .

وذلك أن بعض الناس قد يولع بالإباحية ويجاهر  
باللذات ، ويطيب له الخروج على العرف وعلى المألوف ،  
لمهانتهم على أنفسهم وعلى الناس ، فلا يباليون ، لأنهم  
نسوا شخصيتهم ، وبعضهم قد يقترف هذا لتعاليمهم  
على العرف وعلى الناس ، ولرغبتهم في تقرير  
شخصيتهم .

ولم يكن أبو نواس من الفريق الاول ، لان اخباره  
واشعاره تنفي ذلك عنه .

وانما كان من الفريق الثاني المبالغ في تهتكه  
ومجاهرته بما يقترب من آثام .

لهذا يقول :

إلا فاسقني خمرا وقل لي هي الخمر  
ولا تسقني سرا إذا امكن الجهـ

ويقول :

أطيب اللذات ما كان -

جهـارا بافتضاح

وله في هذا المجال شعر كثير .

3 - ثم حاول العقاد أن يطبق عليه ظاهرة  
الارتداد ، من وصف لنشاطه ، وكلف بالخليفة الأمين ،  
وولعه بالجارية حسن .

- 3 -

ثم ان حبه للجارية جنان لا يتنبيء عن تلبس  
وتشخيص ، بدعوى انها كانت تحب النساء وتميل  
اليهن ، فان حبه لم يكن مقصورا على النساء دون  
الرجال ، وهي في الوقت نفسه جارية مغنية لا يتطلب  
منها ان تنافس الحرائر ، او تكشف النساء بالعداء .

على انه أحب الجارية دنائير وتفزل بها ، وتفزل  
بعشر من الجواري الحسان ، منهن عنان التي غلبته في  
مساجلة بالأدب المكشوف على مسمع ومرأى من وجوه  
بغداد .

فلم يكن حب أبي نواس مقصورا على الجارية  
جنان ، ولم يكن حبه لها عميقا طويل الأجل ، فانه  
أحبها في مطلع شبابه ، ولم يلبث حبه ان خمدت  
جذوته ، وكان معاصروه يشكون في صدق هذا الحب  
وحرارته .

كذلك يبدو التكلف في الاستدلال على التشخيص  
بأن أبا نواس هام بالجارية ( حسن ) لأن اسميهما  
متشابهان ، فان هذا الهيام واقع لا محالة ، سواء أكان  
اسمها ذلك أم غير ذلك ، والا فلماذا هام بدنائير وعنان  
وجنان ونرجس ، وليس بين اسمه وأسمائهن تشابه  
أو اتفاق ؟

ومن التضييق على أبي نواس ان نحجر عليه  
التلاعب بالاسمين المتشابهين عن طريق المصادفة لا  
عن طريق التعمد والاختيار ، كما تلاعب المتنبي فيما  
بعد باسم سيف الدولة ، فشقق منه الوانا من المعاني  
والأفكار والخيال .

2 - وعجيب ان يتخذ العقاد من مجاهرة أبي  
نواس بخلاعه دليلا على نرجسيته ، وعلى ظاهرة  
العرض .

فقد عرف العالم عشرات من الأدباء المولعين  
بمثل هذه المجاهرة ، لأنهم يجدون فيها أنواعا من  
التعالي أو التظاهر أو التفرد بالخروج على المؤلف أو  
الاستهانة بالقيم التي يقدرها المجتمع الخ .

من هؤلاء في الأدب العربي الأعشى وسحيم  
وامرؤ القيس وعمر بن أبي ربيعة ونصيب وابن سكرة  
وكثير من شعراء اليتيمة .

ومنهم في الأدب الغربي بيرون وكازانوف ، ولم  
يوصف واحد من هؤلاء أو أولئك بالنرجسية أو بظاهرة  
من ظواهرها المعروفة .

وليس من شك في أن العقاد كان بارعا في هذه  
المحاولة ، إذ استطاع ان يلخص معالم النرجسية ، ثم  
حاول ان يطبقها على حياة أبي نواس وشعره .  
ولكن هذا لا ينفي ان في التطبيق الوانا من مظاهر  
التمحل والاعتساف .

1 - فلا يصح أن تتخذ من غزل أبي نواس بسلام  
التغ دليلا على ظاهرة التشخيص ، لأن لثغة ذلك الغلام  
تغاير لثغة أبي نواس ، ولأن الشعراء كانوا كثيرا ما  
يستمنحون أمثال هذه اللثغة فيمن يحبون من اناث  
وذكور ، كما كانوا يستملحون اللحن من الفتيات ومن  
الحسان .

وليس من الصواب ان يكون اعجاب أبي نواس  
بالبحة في صوت غلام آخر مظهرا للتشخيص ، فان  
مصدر هذا الاعجاب الاستملاح والاستطراف والارتياح  
الى هذا الصوت ، وهو اعجاب صالح لأن يصدر عن  
أبي نواس وعن غيره من الرجال .

وأما تمثيله للجمال الفائق بيوسف فانه تمثيل  
للتفوق والامتياز ، ولا دليل فيه على تشخيص وتلبس ،  
اذ انه أراد ان يصور اصراره على رفض الزواج من المرأة  
التي وصفها ، مهما تبلغ من الاغراء ، فقال انها لو بلغت  
من الجمال أعلى درجاته ، ومهما يهبط مهرها الى أدنى  
درجاته ، فانه لن يرضاها زوجة له . واذا كان قد  
ضرب المثال بيوسف وبلقيس ، فان الشعراء  
والقصاص قد نصبوها مثلا أعلى للجمال .

وقد كان بايرون (8) يجاهر بعلاقاته ، ويسجلها في شعره .

وعرض كازانوفنا (9) قصة حياته عريانة في غير احتشام ، على ما فيها من مثالب ومخاز تحمر منها وجوه أكثر المجان من رجال ونساء ، ولم يكن غرضه تبرير احدانه او التهوين من قيم المجتمع ، او المباهاة بما اترف ، وانما كان راوية دقيقة امينا لا يعنيه الا التسجيل للخير وللشر وللحرام وللحلال .

3 - واذا كان أبو نواس جميل الوجه . حسن السميت ، مقترا بغراهة بدنه ، فقد كان أبو القشير كذلك ، وكان يفاخر ابا نواس بجماله .

ذكر ابن منظور في اخبار أبي نواس : قال أبو القشير : نظمت الشعر وأنا غلام وأبو نواس غلام . وكنا جميعا نضرب بالعود ، وكنت احسن وجها من أبي نواس ، وأبو نواس اطيع ، فتفاخرنا بالشمع وغيره ، ثم قلت له : اني اجمل منك وجها ، فقال : بل أنا احسن منك وجها وأقره .

والذي يتبين من هذه المفاخرة ان ابا القشير فاخر ابا نواس بجماله ، ولم يكن شعوره بتفوقه في الجمال ناشئا عن نرجسية ، وان ابا نواس رد على الفخر بمثله وزاد عليه قوة جسمه ، فلا دليل في هذا على نرجسية أبي نواس .

على ان كثيرا من الفلمان كانوا وما يزالون في هذه السن يتباهون بجمالهم وفراهة اجسامهم ، حتى ليعارضون عضلات بعضهم بعضلات بعض ، وحتى ليتصارعون ويتسابقون ، وهم ابرياء من مرض النرجسية وأعراضها .

4 - اعتمد العقاد على وصف ابن منظور لأبى نواس بأنه كان حسن الوجه ، رقيق اللون ابيض ، حلو السمائل ، ناعم الجسم ، منسدل شعر الرأس ، الشغ بالراء يجعلها غينا ، وكان نحيفا ، وفي حلقه بحة لا تفارقه .

وذكر بعض أبيات لأبى نواس ، كقوله :

تتبه علينا ان رزقت ملاحه  
فمهلا علينا بعض تيهك يا بـدر  
فقد طالما كنا ملاحا وربما  
صددنا وتنهنا ثم غيرنا الدهر

واستنبط العقاد من هذا ان ملامح النرجسية تكاد تتمثل من هذه الأوصاف ، فالبياض والرقرة والنعومة والملاحة والشعر المتهدل أشبه ما تكون ملامح الفتى نرجس ، الذي حنا على الجدول فاستحال نرجسة ، واتخذة الأسطوريون اليونان نموذجا للجمال . وقال ان اللثغة وبحة الصوت تشيران الى تكوين وسط بين كيان الصبي وكيان الشاب الناضج .

ولكن هذا الحكم فيه تجوز كبير ، فليس من الحتم اللازم ان يكون بياض البشرة وغضارتها وتهدل الشعر علامة من علامات النرجسية ، فطالما اشتهر رجال من الشرق والغرب بصفات الملاحة والجمال ، وهم بعداء عن النرجسية أيما بعد .

حسبنا ان نذكر منهم ابا القشير الذي فاخر ابا نواس بجماله ، ونصر ابن حجاج الذي افتتن به نساء المدينة ، فاضطر الخليفة عمر بن الخطاب الى نفيه منها ، وذلك انه كان يمسي في ليلة كعادته ، فسمع امرأة تشد شعرا وهي في بيتها ، منه :

هل من سبيل الى خمر فأشربها  
أم من سبيل الى نصر بن حجاج ؟

فلما اصبح الصباح استدعى نصرا ، فاذا هو شاب جميل يفتتن بمثله النساء ، فأمر بحق شعره ، وهو يريد التقليل من جماله ، فازداد جمالا ، فأمر بنفيه الى البصرة منعا للفتنة .

ومنهم بايرون ، فقد كان آية من آيات الجمال ، وكان شعره الذهبي يتهدل على جبينه في خصلات متموجة ، وله عينان زرقاوان يخالطهما لون رمادي ، وتحيط بهما اهداب غزيرة طوال ، وشفاه قرمزيان ، وانفه رقيق لطيف ، وقدم رشيق ، وبشرته شفافة كأنها البلور ، وصوته رخيم كأنه نعمات والحنان . واما اللثغة بالراء فانها اضطراب في النطق يصيب كثيرا من الناس ، وقد اشتهر بها واصل بن عطاء ، وكان يهرب منها باجتناح حرف الراء في دروسه وفي خطبه .

واما بحة الصوت فليست دليلا على تكوين وسط بين كيان الصبي وكيان الشاب الناضج ، لأنها ضعف في الحنجرة يعترى بعض الأسوياء الذين لا يوصفون بلون من ألوان الانحراف ، سواء اكانوا من الذكور ان أم من الاناث .

(8) بايرون : امينة السعيد .

(9) كازانوفنا : ستيفان زفايج - ترجمة دار الهلال

اهدين اليه ، فيهن صبية حولاء وعجوز في احدى  
عينها نكتة ، فتطير من ذلك ، ولم يظهر لي امره ،  
فلما مضت مدة سقطت لي ابنة من السطح ، وجفاه  
القاسم ابن عبيد الله ، فعزا الحادثين الى الحولاء  
والعجوز ، وكتب الي بفسيدة ، منها :

ايها المحتفى بحول وعسور  
اين كانت منك الوجوه الحسان ؟  
قد لعمري ركبت امرا مهيننا  
ساعني منك ايها الخلفان  
فتحك المهرجان بالحول والعسور  
ر ارانا ما اعقب المهرجان  
كان من ذلك فقدك ابنتك الحر  
ة مصبوغة بها الأكفان  
وتجافى مؤمل لي جليل  
لج فيه الجفاء والهجران  
خبر الله ان مشامة كا  
نت لقوم وخبر الفسيران  
انزور الحديث يقبل ام مسا  
قاله ذو الجلال والفرقان ؟

واذا فلا غرابة فيما قصوا من احداث تشاؤمه  
كقولهم ان ابا الحسن علي بن سليمان الاخفش غلام ابي  
العباس المبرد ، كان شابا ظريفا ، وكان يعيشت باين  
الرومي ، فيقرع بابه سحرا ، فيقال له : من ؟ فيقول :  
قولوا لابي الحسن : مرة ابن حنضلة . فيطير ابن  
الرومي ، ويقيم في بيته اياما لا يبرحه .

وقال علي بن ابراهيم كاتب مسروق البلخي : كنت  
بداري جالسا ، فاذا حجارة سقطت بالقرب مني ،  
فامرت الغلام بالصعود الى السطح والنظر الى كل  
ناحية ، ليعرف من اين تاتي الحجارة ، فعاد الي يقول :  
امرأة من دار ابن الرومي الشاعر قد تشوفت وقالت :  
اتقوا الله فينا ، واسقونا جرة ماء ، والا هلكنا ، فقد  
مات من عندنا عطشا . فارسلت اليها امرأة من عندنا  
بالماء والطعام ، فلما عادت قالت : ان الباب مقفل  
عليهم منذ ثلاث ليال بسبب طيرة ابن الرومي ، لانه  
كان يلبس ثيابه كل يوم ويتعوذ ، ثم يمشي الى الباب  
والمفتاح معه ، فيضع عينه على ثقب الباب ، فتقع على  
جار له نازل بازائه وهو رجل احذب يقعد كل يوم على  
الباب ، فاذا نظر اليه ابن الرومي رجع وخلع ثيابه ،  
وقال لا يفتح الباب احد (10) .

لذلك ليست الضعيرة المرسته من شعر راسه  
ديلا على ان اهله وجدوه شبيها بالبنات ، فارسلوا  
ضفيرته ، اذ ان بعض الناس كانوا وما زالوا يرسلون  
ذوانب وضاغائر للذكور الصغار ، لتدليل والتلميح  
فحسب . وان كان شكلهم ابعدا ما يكون عن الجمال وعن  
الشبه بالاناث .

ولهذا فلا مندوحة من العناية بالاحوال الاجتماعية  
والسياسية في دراسة شخصية ابي نواس ، لان  
شخصيته ولبدة نفسيته من ناحية ، ووليدة بيئته من  
ناحية .

ومعنى هذا ان نعتد على المدرسة النفسية  
والاجتماعية معا في دراسة شخصيته .

اما دراسة فنه فلا بد ان نعتد فيها على المدرسة  
الثالثة وهي المدرسة الفنية مع هاتين المدرستين .

### النموذج الثالث

#### تطير ابن الرومي

— 1 —

لم يعرض احد من القدماء او المحدثين الى دراسة  
ابن الرومي الا عرج على تطيره ، وضرب الامثلة من  
حياته ومن شعره على تشاؤمه . واغلب الظن ان  
الاحداث التي ذكروها عن تطيره حقائق واقعة ليس  
فيها تزويد ولا مبالغة ، لانه هو نفسه سجل تشاؤمه في  
شعره ، ودافع عنه ، اذ كان يعرف من نفسه انها  
شديدة الحذر ، ويرى ان الحذر سلم الى الامان :

فأمن ما يكون المرء يوما  
اذا لبس الحذار من الخطوب

وكان يحتج للطيرة ، ويقول ان النبي صلى الله  
عليه وسلم كان يحب الفأل ، ويكره الطيرة ، انراه كان  
يتفاعل بالشيء ولا يتطير من ضده ؟ وقال ان النبي مر  
برجل وهو يرجل ناقته ويقول يا ملعونة ، فقيل : لا  
يصحبنا ملعون . وذهب الى ان الطيرة اصيلة في  
الطباع ، وان كانت اظهر في بعض الناس من بعض .

وذكر عنه عبد الله بن المسيب انه دخل علينا يوما  
مهرجان ، وعند عبد الله عدة من القيان الحسان

(10) زهر الآداب 2 / 188 .



ان لي مشية اغربل فيها  
آمنا ان اساقط الاسفاط  
وهي مشية تشيع في المصابين باختلال في  
العصب او العضل .

وكان مسرفا في كل امر من اموره . لا تصده  
عزيمة ، ولا يرده ضابط ، كان مسرفا في طعامه وشرايه  
وشهواته ، ومسرفا في تهكمه وهجائه ونكاته .  
ومسرفا حتى في استقصاء المعاني ، ولا سبب لهذا  
الاسراف الا توفر الحسن ، والاستجابة للرغبات ،  
والعجز عن كبجها ، والانقياد لما تمليه اللحظة الحاضرة

وفي رأي العقاد ان خضوع ابن الرومي لكل  
احساس طارئ ، واستفراقه فيه ، لم يترك له منفذا  
الى التفكير في عقابه ، وجعله لا يعادل عما يزينه لسه  
الحس والخيال الى ما تمليه عليه الحكمة والحصانة .

واذا كان مزاجه قد اغراه بالاسراف فان اسرافه  
جنى على مزاجه ، لان اسرافه الموكل بالاستقصاء في  
كل مطلب ورغبة خليق ان يسقم جسمه ، وينهك  
اعصابه ، ويتحيف على صوابه ، وهو في الوقت نفسه  
لم يسرف هذا الاسراف الا وفي جسمه سقم ، وفي  
اعصابه خلل ، وفي صوابه شطط .

— 3 —

ويذهب العقاد الى ان المرء قد تختل اعصابه  
فينقلب جريئا جسورا عنيدا مقتحما لمخاطر والاهوال ،  
مستهينا بالعواقب وما يقترن بها من آثام ، وقد  
تضرب اعصابه فيصير وديعا مطيا شديد الخوف  
والحذر ، هيبا للصفائر ، مبالغا في حسان النتائج  
والعواقب الى حد التوهم . وقد كان ابن الرومي من  
الطراز الثاني .

كان مريض النفس مختل الاعصاب فتطير ،  
والرجل السليم لا يتطير ، لانه يتوقع من الدنيا خيرا ،  
ولا يحس نفرة بينها وبين نفسه ، ولا يتسلف الفرع من  
مكاره موهومة ، فاذا اصابه مكروه تلقاه بعزيمة ضابطة  
لمشاعرث فلا افراط في الجزع ، ولا استسلام  
للفزع .

وذكروا ان احد الامراء ارسل اليه خادما يستدعيه  
اسمه اقبال ، ليتفاهل باسمه ، فلما اخذ اعينته للركوب  
قال للخادم : انصرف الى مولاك ، فانت ناقص .  
ومعكوس اسمك ( لا بقا ) ( 11 ) .

وارسل اليه بعض اصحابه غلاما اسمه حسن .  
فطرق الباب عليه ، فقال : من ؟ قال : حسن ، فتفاهل  
به وخرج ، واذا امام الباب حانوت خياط صلب عليها  
دراعتين بالهيئة اللام الف ، ورأى تحتها نوى تمر .  
فتطير وقال : هذا بشير بان لا تمر ، ورجع وله  
يذهب معه ( 12 ) .

— 2 —

وقف الدارسون على اختلاف اعصارهم عند هذا  
الحد ، فلم يتجاوزوه الى استكناه تطير ابن الرومي ،  
واستشفاف ما وراءه من عوامل كانت السبب في  
نشأته وفي نمائه .

اما العقاد فانه لم يقنع بما قنعوا به ، فجعل يحلل  
تشاؤم ابن الرومي ويعلل له ، ويربطه بعوامل نفسية ،  
ويلائم بينها في دقة وحصانة ومهارة وتوفيق .

ونستطيع ان نتبين من دراسته لتطير ابن الرومي  
ان مراجعته الى نوع من الاختلان العصبي والاضطراب  
النفسي ( 13 ) .

ذلك انه كان ضعيف الاحتمال لحرارة الصيف .  
يعاني منها ما جعله يقول :

قد مضى اكثر الشتاء وجاء الصيف  
سف تعدو فلا تردده البطء  
يا عليما بما اكابد فيه  
لا تعاونه ان فيه اكتفاء

قد مضى اكثر الشتاء وجاء الصيف يعدو فلا  
ترده البطء وكان متوفر الحس الى اقصى حد ، بهيج  
اعصابه اهون مس ، ويستفزه ايسر حادث ، حتى ان  
الروائح القوية كانت تؤذيه وتصدعه ، وهذا هو السبب  
في ذمه الورد ومدحه الترجس .

وكانت مشيته - كما وصفها هو - مشية المختلج  
كانه بين يديه غربا لا يديره :

( 11 ) العمدة / 1 / 40 .

( 12 ) معاهد التنصيص / 1 / 43 .

( 13 ) ابن الرومي لمعاد 65 ، 116 ، 117 ، 127 ، 130 ، 200 ، 209 .

وكثيرا ما تبلغ الطمانينة بالرجل السليم الى  
التفاؤل المتسلّم للأمن الصادق والكاذب ، كما  
يستسلم المتطير للفرع والتوهم الصحيح والزائف .

— 4 —

وإذا فقد كان تطير ابن الرومي مظهرا لاختلال  
اعصابه واضطراب نفسه ، وكان ضعف اعصابه وشدة  
حذره ومزاجه المتشائم تزيين له أن يتوجس الشر في  
كل شيء ، وأن يقلب الكلمة أو الفكرة على ما تحتمله  
وما لا تحتمله من حالات ، ليستخرج منها ما يمكن أن  
تؤديه وتدل عليه ، وسرعان ما ينتقل ذهنه بين المعاني  
ونظائرها وأشباهاها ، وبين الكلمات وما يجانسها  
ويشاكلل أحرفها وأوزانها ، فلا يعوزه أن يعثر بما  
يوافق نفسيته الحذرة .

ومن هنا كانت كلمة ( جعفر ) مثلا تساوي عنه  
جاء وفر ) وكلمة ( الخان ) تذكره بكلمة الخيانة :

فكم خان سفر خان فانقض فوفيم  
كما انقض صقر الدجن فوق الارانب

بل ان خياله المتشائم امتد الى تصحيف الكلمات  
فقال في القينة :

لا تلح من تفتنه قينه

فان تصحيف اسمها فتنة

وقال في شخص ابوه اسمه هرثمة :

عائد دهره اذا طبع النقيـ

ع بمعنى مصحف اسم ابيه

وصحف اسم عمرو الى غير في قوله :

يا عمرو لو قلب ميم مسكنة

باء محرّكة لم تخطيء الفقـ

ولقد استبد به الوسوس في اواخر حياته ،  
فصار آفة غلبة على اقواله وافعاله ، لا محيص له عنها ،  
فأفرط في الطيرة ، واشتد خوفه من الماء ، حتى كان  
لا يركب سفينة مهما تكن مأمونة ، ومهما يكن في  
ركوبها من اغراء ، يدل على هذا قوله في وصف سفر  
بدجله :

واما بلاء البحر عندي فانه

طواني على روع من الروح واقب

ولم لا ، ولو القيت فيه وصخرة

لواقبت منه القمر اول راسب

ولم لا اتعلم قط من ذي سباحة  
سوى الغوص والمضغوف غير مغالب  
فايسر اشفاقي من الماء انسي  
امر به في الكوز مر المجانسب  
واخشى الردى منه على كل شارب  
فكيف بأمنية على نفس راكب ؟

اظل اذا هزته ربح ولاات  
له الشمس ملوaja طوال الغواب  
كأنى ارى فيهن فرسان بهمه  
يلوحون نحوك بالسيف القواضب

— 5 —

ذلك تعليل العقاد لتطير ابن الرومي ، وهو تعليل  
في رأي صواب كله ، لان مرده الى نفسية الشاعر لا  
الى مؤثرات اخرى من السياسة والاجتماع .

اما اذا اردنا دراسة شعره المتطير فالأجدر بنا  
ان نبني دراستنا على المذهب النفسي والمذهب الفني  
والمذهب الاجتماعي جميعا .

## النموذج الرابع

### ولع المتنبي بالتصغير

— 1 —

كان ابو الطيب مولعا بالتصغير الى حد لم يعاينه  
فيه شاعر ، ولم يخف هذا الولع على دارسيه ، ولكنهم  
اذ تنبهوا للظاهرة لم يتمموا في التعليل لها .

وحسبنا ان ابا العلاء اجاب ابن القارح حينما  
سأله عن هذه الظاهرة بقوله : « كان الرجل مولعا  
بالتصغير ، لا يقنع منه بخلسة المغير ... ولا ملامة  
عليه ، انما هي عادة صارت كالطبع تفتقر مع المحاسن » .

— 2 —

ويعلق العقاد على كلمة المعري بقوله : لا شك  
انها عادة كما قال المعري ، ولكن أي عادة هي ؟ أمن  
عادات اللفظ ؟ أم من ضرورات الوزن ؟ أم من عبثات  
اللسان ؟

ويجيب بقوله : لا ، ولكنها فيما نظن عادة في  
الطبع والخلق ، وما صارت كالطبع كما قال المعري الا  
لانها من الطبع ، وفيها ترجمة عنه ، ومجاراة لنواذعه .

ثم يعمل لهذا الكلف تعليلا تفرد به ، وذلك ان المتنبى كان يتعالى بنفسه على التكسب بالمدايح والزلفى الى الملوك والامراء ، وكان يرى انه خلق لما هو اجل ، وارفح من ذلك ، وهو امالك والقيادة ، فلا يبالي ان يطول على ذوي السلطان بهذا الاعتقاد فى قصائده التي يمدحهم بها .

وكان يؤنب نفسه اذا ما آنس منها ركونا الى حياة الدعة ، واطمئنا الى منامه بين حاشية الامراء واتباعهم المتكئين على عطاياهم ، فيحفظها وينحيا عن هذا المقام ، ويذكرها ما اعدت له من المجد والعظمة .

لكن المتنبى كان شريكا فى العظمة الدنيوية والاخلاق العلمية فى كل ما هو من باب الشعور والملاحظة ، ولم يكن شريكا فى كل ما هو من باب الانجاز والتنفيذ . كان يشعر شعور عظماء الاعمال ،

ويقيس الامور بمقاييسهم ، ويلزم نفسه الجد الذي يلتزمون فى حركاتهم وسكناتهم ، وتساوره المطامع التي تساورهم ، ولكنه لا يتم الامور كما يتمونها ، ولا يسوس الحوادث كما يسوسونها . كان مطبوعات على غرار رجال المطامع ولكن فى داخل نفسه لا فى ظاهر عمله ، فله فى خلقه وتفكيره استعداد عظماء الاعمال ولكن بغير دابة العظمة .

واذا كان شعوره بالعظمة قد بدا فى المبالغة والتويل والتفخيم احيانا فان شعوره بالتأفف والاشمئزاز والتحقير قد بدا فى التصغير احيانا اخرى ، فاذا ازدرى شيئا ضئيلا او رجلا حقيرا فذلك ازدراء يشوبه الضغن ، ويضاعفه ظل العظمة الملقى عليه ، فاذا الشيء شوىء واذا الرجل رجيل .

واكثر ما يصغر المتنبى حين يهجع مفيظا محنقا ، او يستخف متعاليا محتقرا ، كما يقول فى كافور .

اوى اللثام كويغير بمعدرة  
فى كل لؤم وبعض المدر تفنيد

وكما يقول فى الشعرا الذين يزاحمونه :

انى كل يوم تحت ضبني شويعر  
ضعيف يقاوينى قصير يطاول

وكما يقول فى اهل زمانه .  
اذم الى هذا الزمان اهيله  
فأعلمهم قدم وحزمهم وغمد  
ذلك تعليل العقاد لولوع المتنبى بالتصغير ، ولا شك انه تعليل صادق ، لانه ارجع التصغير عند المتنبى الى شعوره بالعظمة والى ازدرائه للناس .

ولكن العقاد تجاوز عن عامل آخر ربما كان ادعى الى ولوع المتنبى بالتصغير من هذه العظمة المصطنعة التي يمازجها احتقاره للناس .

وذلك ان المتنبى فيما ارى كان ينفس بهذا التصغير عن موجدته وحنفه وشعوره بالعجز عن تحقيق ما يتشاه ، فقد ذم الحياة ، وادعى انها لا تواتى الا الاغبياء والحمقى ، كقوله :

فما ترجى النفوس من زمن  
احمد حاله غير محمود  
وقوله :

ومن صحب الدنيا طويلا تقلبت  
على عينه حتى يرى صدقها كذبا  
وقوله :

فترى الدار اخون من مومس  
واخدع من كفة الحابيل  
وقوله :

من خص بالدم الفراق فانني  
من لا يرى فى الدهر شيئا يحمد  
وقوله :

وشبه الشيء منجذب اليه  
واشبهنا بدنيانا الطغام  
ولو لم يعمل الا ذو محل  
تعالى الجيش وانحط القتام  
ولو لم يصرع الا مستحق  
لربته اسامهم المسام (14)

وكذلك حنق على الناس ، لانهم نالوا ما لم ينل ، وبخاصة اصحاب الفنى والمجد والجاه ، وساء رايه فيهم وفى اخلاقهم .

(14) المسام : الرعية . الضمير فى اسامهم يعود الملوك المذكورين فى اول القصيدة : اي لو كانت الامارة بالجدارة لوجب ان يكون الملوك رعية ورعيتهم ملوكا لانهم احق منهم بالملك .

من ذلك قوله :

انما انفس الانيس سباع  
يتفارسن جهرة واغتيالا  
من اطاق التماس شيء غلابا  
واغتصبا لم يلتمه سؤالا  
كل غاد لحاجة يتمنى  
ان يكون الفضنفر الرنيالا  
وقوله :

اذا ما الناس جريهم لييب  
فاني قد اكلتهم وذافا  
فلم ار ودهم الا خدعا  
ولم . ار دينهم الا نفاقا

وقوله :

ولا تشك الى خلق فتشمتته  
شكوى الجريح الى الغربان والرخم

وقوله :

وكن على حذر للناس تسترته  
ولا يفرك منهم تغر مبتسم  
غاض الوفاء فما تلقاه في عدة  
واعوز الصدق في الاخبار والقسم

فليس اذن على المتنبي ان يكلف بالتصغير ، لانه  
في تعبيره لون من الهجاء والتحقير ، وضرب من  
الاستهانة وقلة المبالاة ، ومبعث ذلك كله التنفيس عما  
يعتمل في نفسه من عوامل متعددة ، اهمها الفرور  
والتعالي المصطنع ، والسخط على الحياة ، والموجدة  
على الناس ، ولهذا يقول :

اذم الى هذا الزمان اهليته  
فاعلمهم قدم واحزمهم وغسد  
واكرمهم كلب وابصرهم عسم  
واسهدهم فهد واشجمعهم قرد

على أنني لا اوافق العقاد في قوله « ان المتنبي  
اذا ازدري شيئا ضئيلا او رجلا حقيرا فذلك ازدرء  
يشوبه الضغن » لان المتنبي المتعاطف لا يضطغن على  
رجل حقير ، وكيف يحقد على الحقير وهو لا يتطلع

اليه او يباريه او يباليه ؟ بل يضطغن على العظيم لانه  
قصر عن بلوغ غايته ، او لان الحظوظ التي نولت هذا  
العظيم اسباب علاه ضنت على المتنبي بما كان يصبو  
اليه ويتشبهاه .

واذا فان كلف المتنبي بالتصغير كان صدى لما  
يعتمل في نفسه ، وكان صدى للحياة السياسية  
والاجتماعية في عصره ، اذ كان عصر امارات وثورات  
ورثبات الى الحكم هنا وهناك ، وكانت القوة والحيلة  
والدهاء اهم الوسائل لظفر الطامحين الى الحكم ،  
والطامعين في السلطان ، وكانت الاحقاد واللداسس  
والنفاق والملك والمنافسات واستكانة الشعوب  
واستبداد الحكام فاشية في المجتمعات .

### النتيجة

لعله قد تبين من هذه اللمحات ان الدراسة  
النقدية لا يصح ان تنحصر في نطاق المدرسة النفسية  
التي اثرها العقاد ، ولا يسوغ لنا ان يقصرها على  
اصول المدرسة الاجتماعية وحدها ، او يحصرها في  
مجال المدرسة الفنية معزولة عن غيرها ، فانه لا  
مناص من اعتماد الناقد على هذه المدارس جميعا ،  
لان بعضها يخدم بعضا ، ولان بعضها يجدي حيث لا  
يجدي سواه .

واذا كان الاعتماد على المذاهب الثلاثة هو المنهج  
السليم الكامل ، فان الدارس او لناقد ليس محتوما  
عليه ان يطبقها جميعا في كل حالة من الحالات ، فقد  
يكون الاستئناس بمصايحها كلها هو الهادي السوي  
الطريق ، وقد يكون في مصباحين او مصباح واحد  
غنساء .

وعلى الدارس والناقد ان يتخير في دراسته  
الاجتماعية والسياسية ما يتصل اتصالا وثيقا بالشخصية  
التي يمرضها ، او النص الذي يدرسه ، وان يتعد في  
دراسته النفسية والفنية عن التكلف والاعتساف ، حتى  
لا يلبس الشخص او يضيف على النصوص اريدية  
واسعة العرض ، او مفرطة الطول ، او ضيقة عين  
القدود .